الباب الأول

الفصل الأول: مدخل لصياغة الخطاب الإسلامى

الفصل الثانى: الطرح الإسلامى

الفصل الأول

((مدخل))

لصياغة الخطاب الإسلامى

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء].

القسم الأول

١- العاملون للإسلام :

يهتم الإنسان بالأحداث المهمة فى حياة البشرية ، ويقف الناس الآن ينتظرون ما سيكون فى القرن الواحد والعشرين ، وبعد انتهاء القرن العشرين ، بكل ما حمل للناس من حروب وهموم وخيرات واختراعات وتطورات ، لم تهتز الأرض قبل هذا القرن كما اهتزت فيه ، رغم أن الحروب لم تنقطع عنها منذ أن سال دم الأخ هابيل عندما قتله أخوه قابيل. وما زال القتل قائما- فرادى وجماعات وأمما - وسيستمر ما شاء الله تعالى له أن يستمر . ويعد الصراع الدائم على هذه الأرض سنة من سنن الله- تعالى- وتحقيقا لإرادته ، قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى

ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

والمؤمنون المسلمون - والدعاة منهم- يرتقبون مع المرتقبين ، وينتظرون ما يحمل لهم الزمن القادم من أحداث جسام ، وبلايا كثيرة تفوق ما أصابهم من بلاء فى ذاك القرن ، فهم ما زالوا ـ أى المسلمون والدعاة منهم خاصة ـ فى مؤخرة الركب ، على الرغم من جميع المحاولات التى فكر بها أولئك ، فأصاب بعضها وأخفق الآخر ، وما هذا الذى بين أيدينا إلا تقويما للأداء الذى قدمه الإنسان المسلم فى هذا العصر ، والجماعة المسلمة والدولة المسلمة.

٢- الدعاة والكتاب:

ولعل أبرز العاملين للإسلام فى هذا القرن هم الدعاة الذين حملوا هم الإسلام ، بعد أن انتهى وجوده الرسمى رسميا من الأرض فى العام ١٩٢٤م عند إلغاء الخلافة العثمانية ، وعلى الرغم من أن هذا العام الذى انتهت فيه الخلافة لم يكن ذا بال فى تفكير المسلمين ، فقد وقع بذلك العبء كله على كاهل دعاة الإسلام ؛ منهم من كان فى موقع المسؤولية السياسية ، أو الإدارية ، أو العسكرية ، أو القضائية ، أو الاجتماعية ، ومنهم من لم يكن له غير حمل هم هذه الدعوة بين الناس ؛ وليس له أية صلة حكومية مهما كانت قليلة ، ولعل السواد الأعظم من هؤلاء الدعاة كانوا من الصنف الثانى ، ولم يعدم الأمر من الدعاة من الصنف الأول.

ما كنت أول السالكين هذا الدرب ، ولكن الكثير قد سبقوا سلوكه وقضوا أعمارهم كلها فيه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ولعلى فى هذا الذى ندبت نفسى إليه ، آخذ ممن سبقنى أمورا كثيرة كانت ذات نفع كبير للدعوة وللدعاة على السواء ، ولم يعدم أن أقف على كل ما كتبوه ، وأقف- أيضا- على تجارب أولئك الأفذاذ الذين جعلوا الدين والدعوة إليه رائد حياتهم ومنطلق تفكيرهم وفهمهم . وما عندى هو شىء من الترتيب ليس أكثر ، فى توضيح ربما يكون فيه فائدة لمن يريد سلوك هذا الدرب من الأجيال

القادمة التى تنتقل إليها المهمة تلقائيا فى رحاب الصحوة الإسلامية التى لامست أفئدة الكثيرين من المسلمين ، وطرقت بعض عقول آخرين من غير المسلمين الذين يعتد برأيهم ويستنار بأفكارهم ، فقدموا مجددا آراء أعطت شيئا من الدفع والتأثير فى هذا المجال الطيب.

٣- رد على أعداء الدين :

مهما قيل فى هذا المضمار- مضمار الدعوة إلى الله- ومهما كتب المفكرون والباحثون ، وانتدى المتحدثون فى ندواتهم ولقاءاتهم ، فإنه لا شك قد وضحوا الكثير من الغوامض ، وأناروا الكثير من المسالك ، وصوبوا الكثير من الآراء والأفكار ، وضمن هذه المعطيات فإن الله تعالى قد هداهم إلى سلوك الدرب ، وتتبع الذين أرادوا أن يحدثوا فى هذا الدين حدثا ، لإضعافه أو صرف الناس عنه ، بغية سيادة الآراء الأخرى التى أوصى بها الشيطان لأتباعه ، وخاصة أن القوة قد رافقت أولئك ، والضعف رافق الدعاة فى جميع المراحل.

لكن الله تعالى الذى تكفل بحفظ دينه ، ونصرة دعاته ، وتأييد عباده الذين اصطفى ، رغم المفارقة الشاسعة فى الأدوات المساعدة لكل من الفريقين ، والغالب من فضل الله حسب النتائج المرصودة هم الداعون إلى الله عزوجل فى كل زمان ومكان ، وبذلك فإن قدر الله الذى قرر حفظ دينه ، يجعل له من الأسباب والنصر ما لا ندركه نحن بأحاسيسنا المحدودة التى ترى أننا دائما ضعفاء وأعداؤنا هم الأقوياء ، وهم القادرون على النيل منا ، وتحجيم قدراتنا بأتفه الأسباب وأقل الجهود.

٤- المسلمون فى القرن العشرين :

لا نستطيع بحال من الأحوال أن نغفل الحال الذى نحن فيه ، وقد قدمنا ذلك بالقول بأن المسلمين فى أدنى السلم الحياتى والثقافى والحضارى فى هذه الحقبة من الزمن ، وقدمنا بأن المعطيات التى وصل بها الآخرون ، ما زلنا فى موضع المندهش الخائف منها من كل الجوانب ، ولقد أصبنا بأوجاع وطواعين وأمراض كثيرة ، شغلنا البحث عن العلاج لها ، وتحمل آلامها عن التفكير باجتثاث

أصولها ، بل على العكس من ذلك ، فإن تفكيرنا ينصب بقوة على الأخذ بأسباب نمو هذه الأوجاع والزيادة منها ، حتى تصل إلى أماكن لم تكن قادرة بالوصول إليها ، لولا المساعدات الكثيرة والغنية التى قدمت إليها نحن تحت ظل التجزئة وحكم البلهاء فى عالم المسلمين.

وقد نعذر هؤلاء الحكام أحيانا ، بأن اختيارهم للحكم- وبالطريقة التى وصلوا إليها- سواء أكانت شرعية ، أم غير شرعية فإنهم بإمكاناتهم المحدودة جدا عكس ما يصورون فى وسائل الإعلام ـ أصغر كثيرا من التحديات الكبيرة التى وضعوا لمجابهتها ، والمشاكل والأزمات التى ألقوا فى أتونها منهم- وخاصة أنهم جميعا ديكتاتوريون ـ على اختلاف أسمائهم ، مديحهم فقط هو المطلوب من الآخرين ، والطاعة العمياء لهم ، والتصديق بقدراتهم وصفاتهم التى لا حدود لها...؟

هم أقل كثيرا من أن يدفعوا البلاء الذى وضعوا فى مواجهته ، وبذلك فقد تنازلوا عن الكثير الكثير من الحقوق والقدرات والمقام الذى كان للإسلام ، عدا عن أن الكثير منهم قد نصبوا أنفسهم فى مكان أعداء الإسلام ، بعد أن صوروا لهم أن هذا الإسلام هو التحدى الوحيد الذى يسعى لسلبهم مكتسباتهم ، والنيل من ذاتهم وحياتهم ، وأخذ الحكم « السلطان » منهم ، ورضوا بأن يتخذوا هذه المواقع ، وقدموا لأعداء الإسلام خدمات لم يكونوا ليحملوا بها لو كانوا هم من يحكم أرض الإسلام والمسلمين ، ولقد جربوا ذلك فى الحروب الصليبية السيئة الذكر ، وإبان الاستعمار الحديث الذى انتهى بخروجهم صاغرين من أرض الإسلام على أشلاء شهداء الإسلام.

إن الواقع الذى نحن فيه لا يسمح لنا فى الواقع أن نكون كثيرى التفاؤل لهذا الواقع ، ولكن الأمل الذى يحدونا ويقنعنا بأننا بقليل من العطاء المخلص ـ عدا التفانى فى العطاء ـ يمكن أن نغير الحال الذى نحن فيه ، فهذا الدين آخذ بالانتشار والتوسع والدخول إلى مواقع كانت حتى وقت قريب حصونا محصنة ضد إمكانية تخطيها للوصول إلى عقول الآخرين.

نحن لا نشك ساعة أننا أمام تحديات قاسية تمارس ضد العاملين لله فى

الداخل والخارج ، ولكن يجب أن نعلم أيضا بأن هذا الدين قد طرق أبوابا موصدة بمتاريس ورتاجات قوية ، فتحت أمامه بكل بساطة وبأقل الجهود . ومن غير حرب ولا جيوش ولا صدمات غطى الإسلام أصقاعا كبيرة فى الماضى القريب وفى الحاضر المنظور[١].

لقد كان القرن العشرون كله تقريبا وقبله بقليل انهزاما لتكتلات المسلمين وقواهم وجيوشهم وتجمعاتهم ، ومع بوادر الانتصارات القليلة التى وقعت لهم فإن ذلك لم يغير من مجرى التاريخ الحديث الذى يعتبر بحق قرن هزيمة المسلمين ورغم أنهم لم يكونوا طرفا واضحا فى الحربين العالميتين الأولى ١٩١٤-١٩١٨م والثانية ١٩٣٩- ١٩٤٥ م والحرب الباردة ١٩٤٥- ١٩٩٠م ، ولكنهم كانوا جماعات أو فرادى (دول) ضمن الحروب الإقليمية التى أثيرت بينهم أو بينهم وبين الآخرين ، فإن الهزيمة كانت نتاج تلك الحروب أو الخسارات الكبيرة التى تحصلت من حرب المسلمين بعضهم لبعض ، عدا ما كان من انتصارات حقيقية أو وهمية فى حروب الاستقلال التى انتهت إلى نتائج ربما لم تكن لصالح الإسلام على الأقل والتى تحصل منها بعض النتائج مثل:

١- التجزئة التى تحولت إلى واقع آسن بكيانات مختلفة من حجم القرية إلى حجم الدولة .

٢- حكم مبادئ وأفكار وأيديولوجيات وافدة ، أو منحرفة عن الإسلام واتخذت عداوة الإسلام هدفها وأعمالها ، وتحدياتها .

٣- قيام ديكتاتوريات ما زالت بيدها مقادير الأمور فى دول العالم الإسلامى ساهمت فى شرعية التجزئة وحرب الإسلام بشكل كبير .

٤- إفشال محاولات التقارب والوحدة والتجمع ، وبروز قضايا الخلاف بجوانب إقليمية وعقدية ، واصطراع مصالح ، وتنافر وتباغض .

---

(١) إن الأرقام الكثيرة والإحصائيات تدل على أن معتنقى الإسلام فى أوربا وأمريكا وأستراليا وإفريقيا وآسيا يزدادون يوما بعد يوم على الرغم من كل العقبات التى تقف فى وجه انتشاره وتشويه صورته فى كل مكان .

٥- انقسام العالم الإسلامى أثناء الحرب الباردة إلى تبعية مطلقة لأى من أقطاب الحرب الباردة : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (سابقا) .

٦- تحول سياسات الحكام المسلمين إلى المعسكر الرأسمالى العلمانى ، ذى القطب الواحد .

٧- تقوية الصراع بين البلدان الإسلامية نتيجة المشاكل التى غرست إبان عهد الاستعمار ، وتركها بدون حل بعد الاستقلال ، ووجود هذه المشكلات أدى إلى حروب قوية وطاحنة بين العرب والمسلمين بعضهم ببعض وحروبهم مع الجوار .

٨- غرس إسرائيل واستنزاف الطاقات العربية (ظاهريا) لمحاربة هذا الدخيل ، ثم التحول ابتداء من العقد الأخير من القرن العشرين لخطب ود الدخيل والتحالف معه .

٩- تحول المجتمع الإسلامى إلى مجتمع طبقات غير متوازنة ، من الغنى الفاحش فى سكان بلاد البترول إلى الفقر المدقع فى البلاد الزراعية ، وتأثير ذلك على المجتمع الواحد وانعدام الطبقة الوسطى فى أكثر الدول العربية والإسلامية .

١٠- تأخر الإنتاج نتيجة الصراع المحتدم بين الحاكم والشعوب والهجرة المخلة فى توزع السكان ، سواء كانت الهجرات داخلية أو خارجية وقسرية أو اختيارية .

١١- التخلف الصناعى والزراعى والتجارى نتيجة ضعف الطاقات فى البلد الواحد ، وضعف التنسيق ؛ بل المنافسة بين الأقطار المختلفة.

١٢- التخلف العلمى والتقنى والإبداع ، وتحول العالم الإسلامى إلى سوق استهلاكية فقط لمنتجات الدول الصناعية .

١٣- ضعف النقد لكل دولة وتحطيم قيمته ، مما أفقر المسلمين إفقارا ليس له حدود .

١٤- التبعية السياسية والاقتصادية والفكرية والحكم والحياة الاجتماعية وغير ذلك من أمور متدنية[١].

١٥- فقدان الحرية الشخصية ، وحرية التعبير والكتابة ، وحرية العمل ، وكبت حريات المسلمين خاصة ، وإطلاق حرية الاعتقاد ، وتشجيع الرذيلة والانحراف والفن الهابط ، كل هذا وغيره كان نتيجة ضعف الخلافة العثمانية وسيادة الاستعمار ، والدخول فى عهود الاستقلال التى بدأت مقيدة من عام ١٩٣٦ ـ ١٩٩٠م ، وما زالت أقطار إسلامية كثيرة تحت الهيمنة الأجنبية والاستعمار.

القسم الثانى

١- موقف دعاة الإسلام :

لقد وقف دعاة الإسلام من هذه التحديات مواقف شتى ، اختلفت باختلاف الحلول التى وضعت من قبل الدعاة سواء أكانوا أفرادا أم جماعات ، حيث إن الحكومات الإسلامية تحولت جميعا من حاملة وحامية للإسلام إلى مهملة أو محاربة له ، وبذلك فقد وقع الصدام والانفصام الكبير بين هذه الحكومات والدعاة ، وأدت إلى صراع دام ومخل جدا بتكوين المجتمع المسلم نتيجة للقهر والخوف والسجود والقتل والتشريد .

وأصبح من التحديات الكبيرة التى واجهت دعاة الإسلام ، السعى لنيل أقل ما يمكن الحصول عليه للمحافظة على الهوية الإسلامية ؛ التى صبغت المنطقة بصبغتها وطبعتها بطابعها زهاء أربعة عشر قرنا ، كانت تتميز بكونها أرض الإسلام أو دار الإسلام ، تتميز تماما بكل ما فى نواحى الحياة من نموذج حياة الغرب (النصرانى) ، ونموذج الحياة الأمريكية (وريثة أوروبا) ومجتمع الوثنيين فى الهند والصين وإفريقيا.

---

(١) انظر كتابنا: حاضر العالم الإسلامى ط ٣ ، بحث : الهجرات فى العالم الإسلامى وبحث: التخلف فى العالم الإسلامى .

وسقطت الاعتبارات والفواصل داخل المجتمع التى كانت تميز المسلم ـ متدين أو غير متدين ـ عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، لكن هذه الحقبة التعيسة التى حلت بالمسلمين ـ حقبة ضعف الخلافة الإسلامية والاستعمار الغربى والاستقلال ـ قد خلطت الأوراق ، ولم يعد هناك أى تمييز بين المسلم وغيره من الناس فى أرض الإسلام ، وتساوى تحت ظل الدساتير التى كانت موضع حرب ضروس بين الحكام ودعاة الاسلام ساوت هذه الدساتير بين الجميع من مختلف المعتقدات والتوجهات ، بل أدت عملية التجزئة فى الواقع إلى بروز الأفكار المنحرفة والمستوردة ، تحت ظل دساتير صيغت بشكل يكفل لهذه الأفكار السيادة والسماح ، بل التأكيد على حرب الإسلام ودعاته ، وأدت أيضا إلى صدامات كبيرة ومؤلمة بين الحكام ودعاة الإسلام[1] ، وما زالت هذه الدساتير تعدل بعيدا عن الإسلام وفقهه . وأدى هذا أيضا إلى استفزاز دعاة الإسلام ، وجرهم إلى معارك جانبية كانت قوى الحكم قادرة وبسهولة على القضاء على دعاة الإسلام ، الذين اتهموا باتهامات عدة مناسبة للزمان الذى يريدون التحدث فيه وعنه ، بدأت بالرجعية والتخلف والجهل ، وانتهت الآن بنغمة الإرهاب ، والذى أصبح دعوة دولية من الأمم المتحدة لحرب الإرهاب ، والذى يهم فى هذه القضية ما توصل إليه مسؤولو الأمن فى العالم العربى ، الذى تبنى بعد اجتماعات مكثفة دامت أحقابا قانونا يلزم الدول العربية ـ ضمن الجامعة العربية ـ التى لا تستطيع أن تلزم أية دولة عضو فيها بأبسط الأشياء – محاربة الإرهاب ومحاربة الإسلام والمسلمين[2] ، ونقر بأن هذا أيضا قد أدى إلى

---

(١) انظر قانون العار (٤٩) فى سوريا ، وراجع أحداث ثورة الدستور عام ١٩٧٣ فى القطر نفسه ، وراجع مواد ومحتويات دساتير العالم الإسلامى التى خلت من الإشارة للإسلام ، أو وضعت الإسلام من المصادر التى وضعت أساسا للدساتير مثل: العرف والشعب ، والرأى العام ، والحزب الحاكم وغيرها من المصادر . والبعض حرم قيام أى تجمع على أساس دينى .

(٢) راجع قرارات اجتماعات وزراء الداخلية العرب ووزراء العدل ، وخاصة قرارهم فى عام ١٩٩٧ الذى توصلوا إليها بإضفاء الصبغة الشرعية والقانونية على أعمال أجهزة القمع والأمن ضد الإسلاميين بصورة عامة .

النتائج التالية:

١- فقدان الهوية الإسلامية إلا من بعض المظاهر الخارجية فى اللباس والعادات .

٢- بعد جميع الدول عن الحكم بالإسلام ، وتبنى دساتير غربية وعلمانية(١) .

٣- نص الدساتير على حرب الإسلام تحت عناوين مختلفة (الإرهاب ، التطرف ، الطائفية... إلخ).

٤- ضياع الحواجز بين المواطنين ومساواتهم بالحقوق والواجبات ، بل إن التمييز بين المواطنين واضح جدا نتيجة تسرب أعداء الإسلام إلى مواقع السلطة ومواقع اتخاذ القرار والقيادات العسكرية والأمن ، وإعلانهم الحرب الغير إنسانية بتاتا على دعاة الإسلام وحملة لوائه .

٥- فقدان الحاجز بين ديار الإسلام وديار الكفر ، والاطمئنان إلى دار الكفر أكثر من الاطمئنان إلى دار الإسلام ، وكثرة المهاجرين إلى تلك الديار ـ ديار الكفر ـ ووقوع الدعاة وأبنائهم فى تناقض (الهوية) و (الولاء والبراء) و(المستقبل) ، من حيث الارتباط بأوطانهم ، أو العمل لدساتير الدول التى يعيشون ، فيها سواء أكانوا مقيمين أم مواطنين ، والسعى الكبير للهجرة ، وفقدان العواطف الإسلامية التى تدافع عن أرض الإسلام والمسلمين .

٦- هجرة المفكرين والعلماء بشكل مخيف إلى عالم النصرانية تحديدا ، وتقديم كل الخبرات والطاقات لخدمة ديار الكفر من هذه العقول(٢) ، وحرمان العالم الإسلامى من هذه العقول ومن هذه الطاقات .

---

(١) للحقيقة وللتاريخ ، فإن الجمهورية اليمنية من بين دول العالم الإسلامى ، التى نص دستورها على أن الإسلام المصدر الوحيد للتشريع . ولكن بالممارسات العملية نجد تجاوزات كثيرة وخطيرة لهذه المادة فى جميع نواحى الحياة العامة والخاصة ، نتيجة ضعف القضاء وفقدان المراقبة من قبل مجلس الشعب على تطبيق القانون ، وكذلك ضعف المعارضة فى هذا المضمار .

(٢) ألفت كتب كثيرة ، وظهرت إحصائيات أخطر تتحدث كلها عن هجرة العقول الإسلامية إلى الغرب وتقديمها كل طاقاتها لتلك الدول التى تحارب أهلهم وذويهم .

٧- هجرة اليد العاملة أيضا إلى ديار الغرب والتى تسد جميع الحاجات الخدمية فى أوروبا وأمريكا لرخصها من جهة ، ولإقامتها غير المشروعة من جهة أخرى ، وبذلك فإن توفير هذه الخدمة يجعل عالم النصرانية يتفرغ للعلم والفكر والاختراع والتنافس .

٨- فقدان الأمن فى العالم الإسلامى ، وعدم الاطمئنان على حياة الفرد حيث وضعت الدساتير للاستهانة بها[١] ، وعدم وجود الأمن جعل الأحكام العرفية هى السائدة منذ أكثر من نصف قرن فى بعض البلدان ، رغم نصوص الدساتير التى تنادى بالحرية والعدالة والديموقراطية.

٩- تتشابه جميع البلدان الإسلامية تقريبا فى هذا الاتجاه عدا عن بعضها الذى ابتعد عن الإسلام نهائيا ، وقطع كل صلة معه ؛ إلى الدول التى مازالت تتمسك ببعض المبادئ وخاصة مبادئ الإسلام المرتبطة بالأحوال الشخصية ، عموما أو بعض القضايا المرتبطة بالقضاء . وفى هذا فإنه ليس لدى العالم الإسلامى الآن مرجعية معينة يمكن أن يكون لها الرأى الفصل فى ذلك.

١٠- التجزئة ، وغياب الخلافة ، وغياب المرجعية أدى إلى تفاوت وتنافر كبير جدا بين دول العالم الإسلامى ، وهذا التنافر والتناحر أدى إلى حروب إقليمية لم تنته حتى تعود ثانية إلى الظهور وخاصة بين السنة والشيعة ، وبين التقدمية والرجعية ، وبين الملكية والجمهورية ، وبين دولتين تملكان كل مقومات اللقاء ولكن تقتتلان على قطعة أرض أو بئر ماء أو واحة نخيل.

٢- أولويات دعاة الإسلام :

أما عن دعاة الإسلام فقد تفاوتت أولوياتهم من بلد لبلد ، ففى الوقت الذى يصارعون فيه للبقاء على أرضهم[٢] ، أو لينالوا بعض الفتات من الحكام الذين

---

(١) مع وجود الدساتير والتى خلت من أى حقوق للمسلم ، علقت هذه الدساتير بقوانين الأحكام العرفية التى تتطاول على كل الدساتير والأعراف .

(٢) خسر المسلمون الدعاة أوطانهم منذ منتصف هذا القرن ، وخرجوا مشردين فى أنحاء العالم وبعضهم فى البلدان الإسلامية ، وأكثرهم ذهبوا إلى المهجر بحثا عن الأمن ومورد الرزق ، ومنهم من ذاب فى المجتمعات التى ذهب إليها ولم نعد نسمع عنه شيئا .

رأفوا بهم فأعطوهم إدارة أو وزارة[١] ، أو منصبا غير ذى بال وعندما تمكن المسلمون من الوصول بطرق فرضت عليهم كالديمقراطية ، لم يسمح لهم إطلاقا بالاستمرار ، وانتهت انتصارتهم بانقلابات عسكرية أو ضغوط دولية ، أو خلق فتن أو شراء ضمائر لبعض الضعفاء أحيانا[٢].

ودعاة الإسلام فى أوطانهم وجهوا وجهات ثلاث حتى فرغت بلدانهم منهم ، القبور وقد امتلأت بهم ، والسجون وقد اكتظت بهم ، والمنافى وقد ضاقت بهم ، وآخرون بلا هوية ينتقلون من مكان إلى مكان بحثا عن ليلة واحدة يهدأ بها المسلم.

هذا الحال غير كثيرا من إستراتيجيات الدعاة ، سواء أكانوا أفرادا أم جماعات أو أحزابا ، فهم غير قادرين بحال من الأحوال أن يفكروا بالمهم والأهم ، فقد كانت مأساة دعاة الإسلام مؤلمة فى أرضهم ، وموجعة فى أرض غيرهم ، ومذلة فى كثير من بقاع الأرض .

هذا الواقع أثر تأثيرا واضحا وقويا جدا على سلوكيات وعمل الأفراد والجماعات ، أما الأفراد فقد رضى من رضى ، وتحول إلى طاعة السلطة والإذعان لها ونسميهم بعلماء السلطة وهم كثر ـ مع الأسف ـ إذ إنهم إما أن أخرسوا أو تحولوا ضد إخوانهم يفتون للسلطة بما تريد وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع إخوانهم . كما أن الضربات الكبيرة التى تعرضت لها الدعوة الإسلامية على المستوى الإقليمى قد جعلت الكثيرين ينزوون منكفئين فى بيوتهم أو فى زواياهم بين قلة من تلاميذهم حيث مات علمهم وماتوا هم

---

(١) تنتزع الوظائف الحكومية من الدعاة فورا ، وقد حصل ذلك فى أكثر من قطر عندما قام هؤلاء لمحاولة الاحتكام إلى الإسلام ، أو محاربة الفساد فى الأماكن التى كانت تحت سيطرتهم ، وأمثلة ذلك كثيرة ورجالها بعضهم أحياء والآخرون ووروا فى التراب منذ زمن. تابع مجريات الأمر فى تركيا وغيرها الآن .

(٢) ما زالت مأساة الجزائر قائمة ، ومأساة تركيا ، ومأساة اليمن ، ومأساة مصر وإندونيسيا وغيرهم كالأردن وتونس والمغرب ،.وباكستان وأفغانستان ، والمراقب للأحداث يجد عمق العداء للإسلام فى أرض الإسلام .

وراءه[1] .

إن الدارس للحركات الإسلامية المعاصرة ، وللرجال الأوفياء من الأفراد الذين حملوا هم هذا الدين ، ظانين أنهم قادرون على حمايته والدفاع عنه بما تحت أيديهم من إمكانات ، قد خاب فألهم وظنهم فيما وضعوه من إستراتيجيات ، فلا يكادون يخرجون إلى النور قليلا حتى يعودوا للظلام ثانية ، وهذا بدوره أدى إلى الخلل الخطير فى الخطاب الإسلامى ؛ الذى دخلته أيضا التناقضات العجيبة التى سنقف عليها عند الحديث الملصق بها .

ومن جهة ثانية فإن بعضا من علماء السلطة قد تجرؤوا على الإسلام بفتاوى لم يكن لأصلها هذا الاجتهاد ، وخاصة فيما يتعلق بالمستحدثات والمستجدات على الحياة ، مثل الاقتصاد الربوى الذى كثرت فيه الأقاويل ، وكذلك الجهاد الذى حورب من جميع جوانبه ، وتحول تحولا عجيبا إلى إرهاب وقتل النفس بغير حق ، والتعدى على الشرعية ، ومحاولات قلب نظام الحكم ، وغيرها من المسميات الكثيرة التى تطلق كل يوم على دعاة الإسلام . ما من شك أن دعاة الإسلام تحت تأثير هذا الواقع ؛ كان التأثير عليهم قويا وفى جميع نواحى تفكيرهم وعطائهم وتحركهم ، ونستطيع أن نقول: إن الممارسات المختلفة ضدهم قد أسكتت كل الأصوات وجعلتها خافتة لا يسمعها أحد ، إلا ما تمكن منه بعض دعاة حقوق الإنسان من القول رأيا لم يتجاوز أذان سامعيه .

٣- الاتجاه الفكرى وتداعياته :

هناك ركيزتان يتعامل معهما الفكر فى هذا العصر ، العلم والإعلام ، وفى الوقت الذى تسابق إليهما دعاة الإسلام ؛ فقد تمكنوا من حيازة السبق بالأولى ،

---

(١) لقد حدث فى التاريخ المعاصر أحداث كانت أخطر كثيرا على الدعوة الإسلامية من أعدائها ـ الحكام ، الأحزاب العلمانية والقومية والشيوعية ـ وهم الذين تحولوا إلى (أبواق) للقوى الأخرى المعادية للإسلام . فقد حفلت الأحداث والأيام على أمثال هؤلاء فى مصر وسوريا والعراق والسعودية ، ولا يمكن أن نستثنى بلدا واحدا لم تتمكن السلطة فيه من اجتذاب عدد من هؤلاء ليكونوا عونا لها على إخوانهم وأبناء دعوتهم .

وتخلفوا تخلفا مشينا فى الثانية ، إلى درجة الجهل المطلق فى هذا المضمار . لا شك أن علماء الإسلام ودعاته تمكنوا من الوصول إلى ناصية العلم وتطويقه على قدر طاقتهم وإمكاناتهم ، وبذلك فقد كان التوفيق الذى وفقهم الله به قد أعطى ثماره وبشكل واضح ، فقد امتلأت أسواق الكتاب وأرفف المكتبات بالنتاج الفكرى الإسلامى ، وهذا ما جعل العلم بالإسلام متداولا بين الشعوب الإسلامية.

ولقد أنتج المفكرون المسلمون فى مختلف المعارف والعلوم ، فى حين أبطأ الآخرون من دعاة العلمانية والإلحاد فكسد نتاجهم وانقطع سبيلهم وذهبت ريحهم ، ولم يأخذ عامة المسلمين بهذا الإنتاج إلا لفترة محدودة جدا ، كان الهوى يطيح بالرؤوس ، وكانت موضة الإلحاد ناشطة بين الشباب ، أو بين من أسموا أنفسهم مفكرين. ولم يكتف المسلمون بطرح أفكارهم فى مجال العقيدة وعلوم الدين ، بل الكثيرون ذهبوا أبعد من ذلك فدرسوا العلوم التجريبية والعلوم الحديثة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء والفلك ، وبرع منهم الأطباء الذين حذقوا المهنة وبرعوا فيها ، وكتبوا أيضا فى مجالهم وأكثروا الإنتاج . ولا نشكو من قلة العلماء ؛ بل العكس فإن العلماء المسلمين هم الذين أكلوا الضربات المتلاحقة وسجنوا وعذبوا وأعدموا ونفوا . وكثير منهم ـ والمشهورون منهم خاصة ـ قد أعطوا نتاجهم وهم فى السجون وتحت سياط التعذيب . ومع كثرة الإنتاج وتوافق الأفكار والتقارب بالأهداف والغايات برز بعض المنحرفين لكن لم يجدوا لأفكارهم سوقا ولم يجدوا لبضائعهم راغبين . حمدا لله تعالى على هذه النعمة ، فإن الكتاب الإسلامى الذى دخل فى خانة المحرمات الممنوع تداولها بين الدول والأفراد ، لم يبق إلا النادر جدا من لم يتداولها سرا أو علانية ، وحسب الطبعات المسروقة لبعض الكتب فبلغت العشرات غير الطبعات الشرعية التى تعدت أيضا خانة العشرات .

لكن قبض أعداء الإسلام فى العالم الإسلامى- حكومات وأفرادا ومنظمات وأحزابا- على ناصية الإعلام ، وكانوا قبلا قد دخلوا فى حمأة الفن وفساد الفن وابتعد المسلمون تماما عن هذا المضمار مستهينين به أولا ، وعاجزين عن إدراكه

لاحقا ، ومن هذا الباب فقد تخلى دعاة الإسلام عن ممارسة صنعة الفن أولا ، وعلم الإعلام ثانيا ، فاستولى عليه المنحرفون ، ودفعوه إلى عقول الناشئة دفعا قسريا ، غير كثيرا فى مجالات تفكيرهم ، وأوقعهم فى أتون الانحراف وكسبوا رأى العوام فى تطويع وتطبيع العقول كما اتفق لها . ومازال العداء المستحكم بين الإعلام ودعاة الإسلام على أشده . تجرأ الأول على الثانى فهزمه وحاول الثانى أن يمنع الأول ويبعده ففشل ، وما زالت الحرب مستعرة على أشدها[(١)] والغلبة للإعلام ، ولأن استخدام الحواس فى الإعلام المرئى أو المسموع أو المقروء يتضاعف ، والتأثير على العوام كبير جدا . وحتى يستطيع دعاة الإسلام أن يقدموا موادا متكاملة للإعلام ، فإننا نجد الإعلام الفاسد والفاسق قد دخل مخادعنا دون استئذان ، بل بالعكس بتكاليف ندفع نحن فواتيرها من مال وقيم وكرامة.

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل نحن عاجزون ـ الإسلاميون ـ عن تطويع الإعلام لخدمة ديننا...؟ الجواب طويل وطويل جدا وبحاجة إلى صبر طويل أيضا .

٤- توضيح الدعوة الإسلامية :

دعاة الإسلام لم يتمكنوا أن يوضحوا دعوتهم للناس ؛ وذلك لأن المسلمين قد خرجوا من تخلف واستعمار ، وغزو فكرى ، وما زالت الآثار باقية حتى الآن فى ظل هذه المعطيات الثلاث إذا أضفنا لها الجهل والخوف وفقدان الأمن والفقر ، وتحمى التجزئة هذه المعطيات كلها لتنمو كلها أو منفردة فى أى مجتمع من المجتمعات الإسلامية ، وتقف حائلا دون تمكن المسلمين من التعبير عن رأيهم ـ هذا إذا كانوا ضمن تركيبة السكان ولم ينتزعوا من أرضهم ويلقون لاجئين عن الآخرين ـ فمن غير المعقول أن يتمكن الدعاة أن يغيروا خطابهم فى كل لحظة وأمام كل موقف ، واتجاه أى مجتمع .

كما لا يمكن بحال لدعوة اتسم فكرها بالتوحد والتوافق أن تخاطب كل إنسان بمفهومه ، لكن الأمر ممكن عندما نفهم سر المجتمعات وتوجهاتها . وهذا ممكن من الناحية النظرية ولكنه مستحيل من الناحية العملية ، فالأحزاب على أساس

---

(١) انظر كتابنا: ملامح الإعلام الإسلامى – تحت الطبع.

دينى ممنوعة فى جميع دساتير العرب والمسلمين ، والمسلمون ممنوعون من أى عمل لأنهم صنفوا تحت راية الإرهاب ، واتفق العالم بما فيه بعض فصائل المسلمين على أن الإسلام هو الإرهاب والانتباه الشديد لكل تحرك يجعل أجهزة الأمن تسهر الليل وتتحرك فى النهار ، لا لمجرد المراقبة ، ولكن لرصد أى تحرك وتلفيق أى تهم ، والإدلاء بأى شبهات وهكذا.

ومع هذا فإن الخطورة تكمن فى تمكن الأفكار الأخرى من العقول والجماعات والحكومات ، وعلى دعاة الإسلام أن يكونوا على حذر فى كل خطوة يخطونها . ولبست أجهزة الأمن والرصد كل لبوس لملاحقتهم والتضييق عليهم ورصد تحركاتهم . صحيح أن الأيديولوجيات قد بدأت تفقد بريقها ورونقها ، لكنها على كل حال باقية يغطى بها أعداء الإسلام عوراتهم وأجسامهم لحين إيجاد البدائل عنها . هذه الأفكار متصارعة فيما بينها ، ويسفه بعضها رأى بعض ، ولكن تتفق فى جميع الظروف والمناخات ضد الإسلام وتتعاون عليه ، بل تستفيد من كل التجارب وتتبادلها ، فمثلا : أرسل الهندوس - وخاصة أنهم أحزاب منظمة - وفودا من علمائهم إلى إسبانيا لدراسة الطرق والظروف والإمكانات وأدوات التعذيب ومحاضر محاكم التفتيش التى تمكنت من إخراج المسلمين من إسبانيا فى القرن الخامس عشر والسادس عشر ليستفيدوا منها الآن لإخراج المسلمين من شبه القارة الهندية بعد أن أخرجوا ٢٥٠ مليون مسلم فى لعبة لم يكشف النقاب عن أسرارها بعد فى دولة كبيرة ، ثم أصبحت الدولة دولتين (باكستان وبنغلادش) وأبقوا عندهم ١٢٠ مليون (كالمورسيكين) فى إسبانيا الذين بقوا بعد سقوط غرناطة ١٤٩٢ وحتى عام ١٦٠٥م ، ثم أخرجوا نهائيا رغم تنصرهم ورضاهم بالعيش فى إسبانيا تحت ظل النصرانية.

الأحزاب العلمانية فى عالم المسلمين تدرس وتتبنى الطرق التى اتبعها الفرس (المجوس) ومن ضل (من أهل الكتاب) وتشكيل الفرق وطرح الآراء وتبنيها لمحاربة الإسلام وشقه من الداخل وبأى أسلوب ممكن آخر .

مجمل الدراسات التاريخية عند المستشرقين والمؤسسات التى تحميهم ،

وخاصة الجامعات الحديثة ، تقوم على دراسة الحقب التاريخية التى هزم بها المسلمون وحكمت فيها الطوائف ، حيث كانت تلك الحقبة ثلاثية القوة . المغول من الشرق والصليبيون من الغرب ، الطوائف تتحكم بأكبر بقعة من العالم الإسلامى ، ولكن الله تعالى قيض لهذه الأمة من أقام لها دينها وهزم أعداءها ، وأوضح فكرها ، وانحسرت القوى الثلاث التى لو اجتمعت على أية أمة لأزالتها من الوجود ، ومن هذا المنطلق فإنه لا خوف اليوم إطلاقا مما نحن فيه من عشارية الأعداء الأقوياء ، وهم هم ولكن حربهم الآن بغير أسلحة القتل ـ مع أنهم يستخدمونها بشدة فتكها عند الحاجة ـ ولكنهم يستخدمون أسلحة من نوع آخر ، أسلحة أقل ما فيها غسل الأدمغة وسلخ الناس من جلودهم ، وإلباسهم أثوابا أخرى لا تستر عورة ولا تدفئ جسداً .

ومع هذا فإن ما تمكن أن يصل إليه دعاة الفكر والإلحاد فى عالمنا المعاصر يعتبر أيضا نصرا ليس سهلا لهم ، لأننا نحن نكثر من المواليد وهم يحسنون الاستفادة منها ، حيث تنقلب علينا هما وغما ، تحمل الأم وتلد ، ويربى الأب ويتعب ، ويأكل الثمرة أولئك الذين يتربصون بنا الدوائر إما تهجيرا وإما تضييعاً وفقدان فكرة الغاية التى وجد من أجلها الإنسان على الأرض ، أو حتى زيادة أعداد البهائم التى لا تؤكل .

إن كثرة الأفكار المطروحة الآن وقوة دعمها ومدها بما تحتاج للبقاء والثبات واختلاف المسلمين والدعاة منهم ، يجعل القضية أكبر بكثير من التفكير الفورى أو على المدى القريب بما يمكن فعله تجاه هذه الثنائية من الواقع المضطرب والغير مستقر والغير معروف مستقبلا . وهذا النوع من الطروحات الملحدة قد بدت فى وقت من الأوقات غاية طيبة من أجمل وأحسن الغايات ، وفتن بها الناس والرجال والنساء والأولاد والبنات ، حتى أصبحت موضة يتشدق بها الغادى والرائح ، وتسفيه الإسلام دأب الجميع ، والضحك على الدعاة المسلمين لتسلية الجميع أيضا .

تطاول بها الأقزام على عمالقة الفكر الإسلامى ، وأرادوا أن يسفهوا آراءهم

ويبطلوا (سحرهم) كما يدعون ، وسخروا منابر العلم والإعلام لـذلك ، مـن الجامعـات إلى النـدوات ، إلى المراكـز الثقافيـة المختلفـة ، واسـتخدموا أحسـن الأساليب لإثارة بعض (المتعصبين) للاعتداء عليهم ، وذلك للتمكن من تبرير الفتك بالمسلمين وملاحقتهم ، وإظهـار حـالهم بمظهـر الأديـب الأريـب المسـالم المسكين الذى لا يحمل سلاحا إلا قلمه ؛ الذى يعـبر فقـط عمـا فـى فكـره مـن سموم وأحقاد . وكان أن تحصلت لديهم النتائج التى يريدون ، لكنهم مـع هـذا فإنهم « غثاء كغثاء السيل » وبـذلك فيجـب النظـر إلى أن هـؤلاء يحتـاجون إلى الكثير من الاهتمام من دعاة الإسلام.